رسالة ملكية إلى المشاركين في المؤتمر الثاني لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة إلى المشاركين في المؤتمر الثاني لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي المنعقد بالرباط ما بين 22 و24 رجب 1419 الموافق 12 و14 نونبر 1998.

وفيما يلي نص الرسالة الملكية التي تلاها السيد محمد الأشعري، وزير الشؤون الثقافية، خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السادة الوزراء،

أيها السادة والسيدات،

يطيب لنا أن نعبر لكم عما يخامرنا من سعادة لاستقبال المغرب للمؤتمر الثاني لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي والترحيب بهم للمشاركة في هذا المؤتمر الهام نظرا لما تمثلونه حضرات السادة الوزراء من دول إسلامية شقيقة تعتز بالروابط الأخوية التي تجمعنا وملوكها وأمرائها ورؤسائها من ناحية ولما تمثلونه من قيم الثقافة التي تسهرون بوصفكم وزراء أوصياء على تفعيلها واستمرارها وتنمية فعالياتها من ناحية أخرى.

ولا ريب في أن هذا المؤتمر الذي ينتظمكم للمرة الثانية والذي أعدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بسخاء جهد وأحكام تنظيم لدارسة تطبيق الاستراتيجية الثقافية بعد المصادقة عليها من لدن مؤتمر القمة الإسلامي السادس يلقى من الاهتمام لدى سائر الدول الإسلامية الشقيقة ما يلقاه لدينا متطلعين جميعا إلى تحقيق ما ينشده مؤتمركم من أهداف وما

يتوخاه من نتائج. ولذلك لا يسعنا إلا أن نحمد للمنظمة الإسلامية (الأيسيسكو) ما قامت به في سبيل عقد هذا المؤتمر وما يتوالى من نشاطها في اعتماد استراتيجية ثقافية اسلامية وتطبيقها على أفضل وجه ممكن.

حضرات السادة والسيدات،

غير خاف عليكم أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إنما أنشئت استجابة لوعي عالم الإسلامي بضرورة مواجهة تحديات التخلف الكامن في معوقات استثمار الموارد البشرية في مجتمعاتنا في سياق التخطيط لسياسات التنمية الهادفة إلى جعل هذه الموارد تتجاوب على نحو أجدى وأفضل مع تلك السياسات ولذلك قام تأسيس المنظمة على الركائز الثلاثة الضرورية لكل تنمية أو تحديث وهي التربية والعلم والثقافة. وبذلك انتقل العمل الثقافي الإسلامي إلى مرحلة التخطيط العلمي المبني على دراسة معطيات واقع المجتمعات الإسلامية واستثمار إمكاناتها البشرية والمادية وتحليل معوقاتها واستحضار كل مستجدات والتوقعات ومواجهة التحديات.

وها أنتم تجتمعون اليوم في مؤتمر يستهدف النظر والتقويم لإحدى هذه الركائز الأساسية ألا وهي الثقافة لمناقشة ما تم إنجازه واستشراف ما نتطلع إليه بما يتطلبه الشأن الثقافي من الأناة في التحليل والعقلانية في التخطيط والنجاعة في الوسائل.

حضرات السادة والسيدات

لقد ذكرت في مناسبة سابقة بالنسبة لهذه المنظمة أن عالم الإسلامي ما يزال دون ما تتطلبه شروط الحياة الكريمة لأبنائه بالرغم مما يملكه من

طاقات بشرية ومادية هائلة وما أنعم الله به علينا من نعمة الإسلام وهداه والاستضاءة بنور سناه حتى أن المرء ليعجب مما يطبع واقعنا من تناقض صارخ بين الواقع والمثال. ومهما تكن عوامل هذا الواقع الذي ما يزال يشكو ظواهر الفقر والتخلف والتهميش، فإن ما يتعين علينا أن نضعه نصب أعيننا لهو القضاء على معوقاتنا الذاتية وتكسير أطواقها عن الغالبية العظمى في مجتمعاتنا عن طريق التربية والتثقيف والتأهيل لاستثمار مواردنا البشرية واعتماد هذا الاستثمار في التنمية الشاملة التي يعتبر العنصر الإنساني غايتها ووسيلتها في آن واحد. ومن هنا تكتسب الاستراتيجية الثقافية أهميتها وقدراتها على تحقيق تلك الأهداف ورفع التحديات والقضاء على المعوقات الذاتية للعالم الإسلامي في مواكبة العمل السياسي الجاري في هذا الاتجاه بالنظر لما تتضمنه عملية التثقيف من معاني التقويم للفكر والتفعيل لقواه والتمثل للمعارف وتسخير الطاقات الإنسانية في سبيل العمل المندرج ومواكبة حضارة عصرنا مواكبة متوازية بإثبات قدراتنا على التفاعل معها، والتعايش مع مختلف إبداعاتها وتطلعاتها من موقع التميز الذاتي والهوية الإسلامية فضلا عما تتميز به هذه العملية التثقيفية حين تلتزم بالقيم الإسلامية، من صياغة شخصية المسلم صياغة محفزة على العمل عاصمة من الزلل متشبعة بالتعاون على البر والتقوى ونبذ الإثم والعدوان، علاوة على ما لهذه الاستراتيجية من أهداف تتوخى تقوية التعاون الثقافي بين الدول الأعضاء لجعل التضامن الإسلامي بينها سلوكا ثقافيا لا يتخلف، لا سيما في عصر كعصرنا غدت فيه الثقافة مطلب حيويا في مشروعات التنمية ودعم التعايش وتحقيق السلام وإحقاق حقوق الإنسان.

ولهذه الغاية، كان لا بد من وضع خطة ثقافية إسلامية شاملة تكون بمثابة الإطار العام للسياسات الثقافية في كل البلدان الإسلامية أو بمثابة القاسم المشترك بين هذه البلدان تعمل على توحيد وجدان أبنائها في ترسيخ قيم التضامن الإسلامي وتقريب المسافات الفاصلة بينهم مذهبيا أو ثقافيا بالإضافة إلى تنشئة أجيالنا على التعلق بقيم الإسلام الأساسية والتمسك بأخلاقه العالية ليكونوا بمنجاة من التضليل والتطرف أو الانسياق للمؤثرات السلبية وبمأمن الأعطاب النفسية التي تتفشى في المجتمعات المتقدمة من غياب الإيمان بالله وغياب الروادع الأخلاقية.

ومهما يكن لهذه الاستراتيجية الثقافية الإسلامية التي تنشد تطبيقها من مرتكزات أساسية، أو تحديد أولويات أو توقيت مراحل وأطوار، فإنها لا تستغني عن الرؤية الواضحة إلى مفهوم الثقافة الإسلامية وعن توحيد هذه الرؤية بالنسبة لنا جميعا ليكون سعينا إلى تحقيقها سعيا ممنهجا لا خلل فيه ولا تناقض، وإسهامنا في تفعيل آلياتها إسهاما مبنيا على الإقتناع بحسن الاختيار.

وقد يقع الاختلاف فيما عدا هذه الرؤية من تفاصيل ومناهج وترتيب أولويات كما قد يقع الاختلاف بسبب ما يقع فيه البعض من خلط بين مطالب الهوية الإسلامية والهوية القومية ذلكم أننا وإن كنا أمة واحدة من حيث العقيدة والرسالة، فإننا شعوب متعددة، غنية بتنوع خصوصياتها الثقافية، فليكن لنا هذا التنوع والتعدد مصدر قوة وثراء وإبداع وحافزا على الوحدة والتضامن عن طريق توحيد الرؤية إلى القيم التي يمليها علينا ديننا ولا يقبل التفريط فيها بحال من الأحوال، فبهذه القيم نعصم أجيالنا الصاعدة من التشرد والتشرذم والاختلاف ونمكنها من أسباب التعايش والإئتلاف.

حضرات السادة والسيدات،

علينا أن نجعل من الاستراتيجية الثقافية إطارا ثابتا للعمل الثقافي الذي نسعى إليه فرادى وجماعات وسياسة قائمة على مجموعة من الثوابت كالحفاظ على الهوية الإسلامية بمقوماتها الأساسية في الكتاب والسنة وكالحفاظ على وسائل هذه الهوية من لغة تصلنا بكتاب الله وتسمعنا خطابه المعجز في كل آن وكالحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي الحافل بعناصر القوة والتجديد وكاستيعاب العلوم والمعارف والخبرات بمختلف اللغات التي تواكب تطور العلم والتكنولوجيا وتؤدي إلى اكتسابهما وكالاهتمام البالغ بتنمية الفعاليات البشرية لشعوبنا وتوظيف هذه الفعاليات في سياسات التنمية التي نستهدفها اعتبارا لما للثقافة من دور في تأهيل العنصر الإنساني وإدماجه في محيطه القومي والعالمي بصورة تحقق له توازنه بين الثوابت والمتغيرات.

حضرات السادة والسيدات،

إننا عندما نستحضر الإطار الأمثل للسياسة الثقافية التي ينبغي أن تنهجها الشعوب الإسلامية، لا يغيب عنا ما يواجه هذه السياسة من تحديات وعوائق تقف في وجه تطبيق أي استراتيجية ثقافية موحدة على مستوى العالم الإسلامي وهي تحديات داخلية وخارجية من بينها بروز الحركات القومية الضيقة والثغرات التجزيئية والتخلف الفكري وشيوع الأمية إلى جانب العجز عن مواكبة النمو الديموغرافي بمتطلباته التربوية والتثقيفية، لكن أبرز تلكم التحديات هي هيمنة الفكر الوضعي والثقافة الغربية السائدة، فعالمنا اليوم لا تنفصل فيه قوة التأثير الثقافي عن قوة الهيمنة الاقتصادية

والتكنولوجية وعن قوة اللغة السائدة بما لديها من وسائل الإعلام والتواصل المحيطة بالكوكب الأرضي وعما وراء هذا كله من سلطان سياسي قائم ولا يمكن تجاهل حجم هذا التحدي ذي الشعب الثلاث المعبر عنه بالعولمة التي تخترق كل فضاءات مجتمعاتنا الإسلامية بكل أبعادها ومظاهرها.

أجل إننا نشعر بأن مجتمعاتنا لم تستطع حتى الآن الوقوف لصد هذا الاختراق ولا العبور إلى مرحلة التشارك في الإنتاج المادي والثقافي وتحقيق الاكتفاء الذاتي. ولا سبيل لنا إلى تحقيق ذلك إلا بالتخطيط المحكم والتثقيف المعقلن عن طريق انتهاج استراتيجية ثقافية إسلامية يتكامل فيها التوجهان الثقافيان: الوطني والإسلامي اللذان عليهما استيعاب مطالب المرحلة الراهنة في توحيد الصف الإسلامي والانفتاح على قيم الثقافة الإنسانية لتجاوز الانغلاق.

كما لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن التحدي الذي يواجه العالم الإسلامي كمنظومة من الدول المتضامنة ذات الرسالة الواحدة مما تفرضه شساعة العالم الإسلامي وغناء البشري وتعدد أجناسه ولغاته وخصوصياته. وأن خصوم هذا العالم أو خصوم الإسلام بصفة عامة ليقدرون معنى وحدة العالم الإسلامي حق قدرها ومدى قوته الهائلة إن تحققت ولذلك يقفون لها بالمرصاد حيثما مددنا لها سببا من الأسباب.

فعلينا أن نجعل من الفعل الثقافي المتضامن القائم على وحدة الرؤية والهدف المجال الأرحب الذي تلتقي فيه كل جهودنا وتصب في مجاريه كل طاقاتنا لإعداد أجيالنا الصاعدة الإعداد الذي يؤهلها لتحديات القرن المقبل إعدادا يجمع بين الاعتصام بدينها والتشبع بثقافته المحصنة لهويتها

الإسلامية لأنه وحدها ستعصمه من فتن الشقاق والهجمات المعادية وإغواء المادية العمياء. ولا شك في أن ملتقاكم هذا من أثمن فرص اللقاء في نهاية هذا القرن لأنه سيتيح لكم الحوار الجاد بمناسبة ولوج العالم الإسلامي الألفية الثالثة بإرادة مشتركة حول تحقيق تنمية عالمنا الإسلامي تنمية متوازنة يندمج فيها العقل الثقافي مع السياسات الهادفة إلى تحقيق النهضة لشعوبنا، وتحديث نظمها وإقدارها على التنافس المبدع في حلبة الإنتاج والابتكار.

وفقكم الله وسدد خطاكم وأعانكم على تحقيق ما تتطلع إليه الأمة الإسلامية من عزة وكرامة وتمسك بدينها والتزام برسالته.

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.